



مع أطفاله الأربعة وزوجته، كان ينتقل من عمارة برسم الإنشاء إلى أخرى في ضواحي عمان، حيث يعمل كحارس. يسكن أول الأمر في غرفة صغيرة من الطوب مسقوفة بالحديد، وأحياناً في «كارافان» صغير؛ حسب كرم صاحب الورشة، وبعد أن ينتهي الطابق الأرضي من البناء «عظم» يسكن داخلها بلا شبابيك ولا أبواب، ويتنقلي البرد والحر بطرق شتى. قبل شهرين أحـسـ ببعض الأـوـجـاعـ. ذـهـبـ إـلـىـ طـبـيـبـ عـامـ، فـأـحـالـهـ إـلـىـ مـسـتـشـفـيـ حـكـومـيـ، فـتـبـيـنـ أـنـهـ مـصـابـ بـسـرـطـانـ لـمـ يـمـهـلـهـ سـوـىـ شـهـرـيـنـ اـثـنـيـنـ تـوـفـيـ إـثـرـهـماـ. كـانـ حـسـابـ الـمـسـتـشـفـيـ 4ـآـلـافـ دـيـنـارـ. رـفـضـ تـسـلـيمـ الجـثـةـ حـتـىـ يـتـمـ تـسـوـيـةـ الـمـبـلـغـ. تـدـخـلـتـ مـفـوضـيـةـ الـلـاجـئـيـنـ فـدـفـعـتـ أـلـفـيـنـ، وـلـمـ تـسـلـمـ الجـثـةـ، وـفـيـ النـهـاـيـةـ تـمـ تـسـوـيـةـ الـأـمـرـ مـنـ خـلـالـ بـعـضـ الـخـيـرـيـنـ. صـاحـبـنـاـ سـوـرـيـ فـقـيرـ هـرـبـ مـنـ جـحـيمـ بـشـارـ وـقـنـابـلـ الـمـوـتـ إـلـىـ مـخـيمـ الـزـعـرـيـ فـيـ الـأـرـدـنـ، وـمـنـ هـنـاكـ اـنـتـقـلـ إـلـىـ دـاـخـلـ الـبـلـدـ حـيـثـ بـدـأـ يـبـحـثـ عـنـ قـوـتـ يـوـمـهـ، وـشـخـصـيـاـ لـأـعـرـفـ اـسـمـهـ، وـمـنـ حـدـثـيـ لـأـعـرـفـ اـسـمـهـ أـيـضـاـ، لـكـنـهـ كـانـ يـرـاهـ قـرـيبـاـ مـنـ سـكـنـهـ، كـمـاـ كـانـ يـرـاهـ فـيـ الـمـسـجـدـ فـيـ كـلـ الـصـلـوـاتـ الـتـيـ يـحـضـرـهـاـ.

تذكـرتـ هـذـهـ الدـرـاماـ إـلـإـنـسـانـيـةـ وـسـطـ هـذـاـ الضـنـجـيجـ حـوـلـ قـضـيـةـ الـلـاجـئـيـنـ، وـالـتـيـ بـاتـتـ مـحـصـورـةـ فـيـ بـعـضـ عـشـرـاتـ مـنـ الـأـلـافـ مـمـنـ رـكـبـواـ الـبـحـرـ إـلـىـ أـوـرـوـبـاـ، وـهـؤـلـاءـ فـيـ غـالـبـيـتـهـمـ مـنـ مـتوـسـطـيـ الـحـالـ الـذـيـ يـمـكـنـهـمـ بـكـلـ بـسـاطـةـ تـأـمـيـنـ مـصـارـيفـ الـرـحـلـةـ الـتـيـ تـبـلـغـ آـلـافـ الـدـوـلـارـاتـ.

مـنـ بـيـنـ ثـمـانـيـةـ مـلـاـيـنـ لـاجـئـ دـاـخـلـ سـوـرـيـاـ وـخـارـجـهـاـ، هـنـاكـ بـعـضـ عـشـرـاتـ مـنـ الـأـلـافـ رـكـبـواـ الـبـحـرـ، وـقـدـ يـلـتـحـقـ بـهـمـ آـخـرـونـ، وـقـدـ يـزـدـادـ الـعـدـدـ، لـكـنـهـ لـنـ يـصـلـ الـرـبـعـ مـلـيـونـ بـحـالـ، لـكـنـ الـمـلـاـيـنـ الـأـخـرـينـ لـنـ يـرـكـبـواـ الـبـحـرـ، وـلـنـ يـغـامـرـواـ، وـسـيـظـلـوـنـ عـلـىـ مـقـرـبـةـ مـنـ الـوـطـنـ يـنـتـظـرـوـنـ رـحـيلـ الـطـاغـيـةـ كـيـ يـعـودـوـ إـلـىـ دـيـارـهـ وـبـيـوـتـهـ، وـرـبـمـاـ يـبـقـيـ قـلـةـ مـنـهـمـ فـيـ دـوـلـ قـرـيبـةـ كـاـلـأـرـدـنـ وـتـرـكـياـ إـذـاـ وـجـدـواـ حـيـاةـ مـعـقـولةـ وـارـتـاحـوـاـ إـلـيـهاـ.

هـؤـلـاءـ جـمـيعـاـ لـيـسـواـ فـيـ اـنـتـظـارـ حـنـانـ الـمـسـتـشـارـةـ مـيـرـكـيلـ «ـأـمـ الـلـاجـئـيـنـ»ـ، وـلـاـ كـرـمـ كـامـيرـوـنـ الـذـيـ بـشـرـ باـسـتـقـبـالـ بـرـيـطـانـيـاـ لـ20ـ أـلـفـ لـاجـئـ حـتـىـ الـعـامـ 2020ـ، وـلـاـ سـخـاءـ السـيـدـ أـوـبـاـمـاـ الـذـيـ أـعـلـنـ اـسـتـقـبـالـ 80ـ أـلـفـ آـخـرـينـ، وـلـيـسـواـ مـعـنـيـنـ أـيـضـاـ بـعـنـصـرـيـةـ رـئـيـسـ الـوـزـرـاءـ الـمـجـرـيـ، وـلـاـ بـكـلـ الـجـدـلـ الدـائـرـ حـوـلـ قـضـيـةـ الـلـاجـئـيـنـ سـوـىـ مـنـ بـابـ التـعـاطـفـ مـعـ إـخـوانـ لـهـمـ رـكـبـواـ الـبـحـرـ أـمـلاـ فـيـ حـيـاةـ آـمـنـةـ.

هـؤـلـاءـ جـمـيعـاـ يـتـابـعـونـ بـقـلـقـ يـوـمـيـ مـسـيـرـةـ الـمـوـتـ الـتـيـ تـحـيطـ بـبـلـدـهـ. يـتـابـعـونـ أـخـبـارـ بـرـامـيلـ الـمـوـتـ الـمـتـفـجـرـةـ، وـيـتـابـعـونـ أـخـبـارـ تـقـدـمـ الـثـوـارـ، وـكـذـلـكـ صـرـاعـاتـهـمـ. يـبـحـثـونـ بـيـنـ طـيـاتـ الـأـخـبـارـ عـنـ أـمـلـ بـحـسـمـ عـسـكـرـيـ، وـيـصـغـفـونـ حـيـنـ يـأـتـيـ الـحـدـيـثـ عـنـ تـسـوـيـةـ سـيـاسـيـةـ، لـكـنـهـ يـصـابـونـ بـإـحـبـاطـ حـيـنـ يـسـتـمـعـونـ لـمـنـ يـرـيدـ مـنـهـمـ بـعـدـ كـلـ الـذـيـ جـرـىـ أـنـ يـتـعـاـيشـوـاـ مـعـ الـطـاغـيـةـ وـمـنـ حـولـهـ مـنـ الـقتـلـةـ، وـأـنـ يـتـعـاـيشـوـاـ مـنـ جـدـيدـ مـعـ حـكـمـ أـقـلـيـةـ طـائـفـةـ تـتـصـدـرـهـاـ عـائـلـةـ فـاسـدـةـ.

هـؤـلـاءـ لـاـ يـلـتـفـتـ إـلـيـهـمـ الـعـالـمـ، فـهـوـ يـعـيـشـ أـكـثـرـ هـوـاجـسـ الـكـيـانـ الصـهـيـونـيـ الـذـيـ يـفـضـلـ بـشـارـ ضـعـيفـاـ مـنـهـاـ، وـبـمـرـجـعـيـةـ إـيـرـانـيـةـ جـديـدةـ مـتـصـالـحةـ مـعـ الـغـرـبـ، عـلـىـ أـيـ خـيـارـ آـخـرـ، كـمـاـ أـنـ بـعـضـ الـدـوـلـ تـعـيـشـ هـاـجـسـ مـصـالـحـهـاـ، وـلـدـىـ إـيـرـانـ الـكـثـيرـ مـنـ الصـفـقـاتـ الـتـيـ تـغـرـيـ بـهـاـ زـعـمـاءـهـاـ بـعـدـ رـفـعـ الـعـقـوبـاتـ إـثرـ اـتـفـاقـ الـنـوـيـ.

هـؤـلـاءـ الـذـيـ تـحـدـثـ عـنـهـمـ، أـعـنـيـ مـلـاـيـنـ الـمـهـجـرـيـنـ، وـمـنـ تـبـقـيـ مـنـ الشـعـبـ دـاـخـلـ سـوـرـيـاـ هـمـ أـصـلـ الـمـشـكـلـةـ، وـهـؤـلـاءـ لـاـ حـلـ لـهـمـ

إلا برحيل القتلة، وفي المقدمة كبيرهم الذي يعلن أن سوريا ليست للسوريين، وإنما لمن يدافعون عنها، أي أنها لإيران ول مليشياتها القادمة من أصقاع الأرض، أما من يرفضون النظام الذي أصبح هو سوريا عند إيران وشبيحتها، فليس لهم إلا التشرد والمنافي واللجوء!!

العرب القطبية

المصادر: